

# الموت من ورائك

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتبات الإسلامية  
www.ktibat.com



إسلام بن حزمته

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى قضى بالموت على الخلائق أجمعين. وماز العصاة  
من الطائعين. والصلاة والسلام على الرحمة للعالمين. وعلى آله  
وأصحابه البهاليل الميامين.

وبعد:

أيها الغافل في غيه! السادر في غفلته!  
أين غاب العقل عن طرق الصواب؟! أم أين غاب من خطر  
المصاب؟!!

وأظنك أيها المسكين ستفوق إذا نبهك الواعظ الذي لا  
يكذب.. والزائر الذي لا يعرف اللعب!  
كأن المنايا قد قصدن إليك  
يردنك فانظر ما هن لديك  
سيأتيك يوم لست فيه بمكرم  
بأكثر من حثي التراب عليك

الموت! منبه الغافلين.. وموقظ الراقدين!

الموت! زائر بلا ميعاد.. وداخل لا ينتظر الزاد!

\* أيها المذنب! ماذا أعددت له؟!!

يا من أسكرتك لذة الشهوات.. وغرك زخرف الدنيا الكاذب!  
ماذا أعددت ليوم الرحيل؟!!

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يا من نسي غصص الموت.. وغفل عن مرارة كأسه!

يا من شغله عن مرائره لذة عاجلة.. وشهوة فانية!

أما علمت - أيها المسكين - أنك في دار لا يقر ساكنها.. ولا يدوم سرور قاطنها؟!!

كانت لساكنين قبلك.. فورثتهم.. وستتركها إلى من يرثك!

قال عمر بن عبد العزيز: «ألا ترون أنكم في الدنيا في أسلاب الهالكين، وسيسلبها بعدكم الباقون، حتى يرث ذلك الخير الوارثون»!  
قال بعض الحكماء: «من أخطأته سهام المنايا؛ قيدته الليالي والسنون»!

أيها المذنب! الموت ساكن قريب.. وسهم مصيب!

سريع الحلول.. صادق النزول!

لا يميز بين صغير وكبير.. أو وزير أو خفير!

بينما حسان عليه السلام جالس وفي حجره صبي له يطعمه الزبد والعسل؛ إذ شرق الصبي بهما، فمات فقال:

اعمل وأنت صحيح مطلق مَرِحٌ

ما دمت يا مغرورٌ في مهل

يرجو الحياة صحيحٌ ربما كمنتُ  
له المنية بين الزبد والعسل

\* أيها المذنب! لا نعيم مع الموت!

يا من التمتست اللذة في الحرام! ويا من سلكت سبيل  
الشيطان.. وعصيت أمر الرحمن!

إلى كم ستعمر في الدنيا؟!!

إلى كم سيصفو لك العيش؟!!

أتظن أنك ستخلد في دنياك؟!!

أما سمعت برحيل الراحلين؟!!

إنك في غرور.. وفي غي طويل؛ إن وقفت بك الشهوات عن  
المصير الحاسم!

الموت من ورائك أيها المسكين! والقبر أمامك!

حقًا! لقد أبت الدنيا إلا كدرًا.. وعناء لأهلها!

قال مطرف: «إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم،  
فالتمسوا نعيمًا لا موت فيه»!

وقال الحسن البصري: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب  
فرحًا»!

وقيل لأعرابي: مات فلان أصح ما كان! فقال: أو صحيح من  
كان الموت في عنقه؟!!

\* أيها المذنب! هل تذكرت الموت؟!

الموت! أقلق قلوب الخائفين؛ وأذهب نضرة عيش المتقين!  
 فهل تذكرته يا راكب الذنب؟! ومتى يتذكر الموت من غفل قلبه  
 عن الطاعات؟!  
 فيا ويل المقصرين إذا حلت سكرات الموت! وتحشرجت النفوس  
 في الصدور!

فكم من حسرات! ولكن ولات حين مندم!

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ  
 تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هازم اللذات».

[رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه/ صحيح النسائي للألباني: ١٨٢٣]

قال الدقاق: «من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء:  
 تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت  
 عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل  
 في العبادة».

وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أوصني. قال: «توسد الموت  
 إذا نمت، واجعله نصب عينيك إذا قمت!»

أيها المذنب! يا من شغلتك الذنوب عن تذكر الموت.. فإن أهل  
 الطاعات في تذكر دائم للموت.. جعلوه علمًا أمام أعينهم؛ إذا  
 أصبحوا نظروا إليه فتذكروه! وإذا أمسوا نظروا إليه فتذكروه! وإذا قاموا  
 نظروا إليه فتذكروه! وإذا قعدوا نظروا إليه فتذكروه!

\* قال أبو أسامة: «كان الثوري إذا جلسنا معه؛ إنما نسمع منه: الموت! الموت!»!

\* وكان محمد بن واسع يمر على رباع إخوانه بعد موتهم، فيناديهم: «أيا فلان! أيا فلان!» ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: «ماتوا والله وبادوا، إن نعلًا فقدت أختها؛ لسريعة اللحاق بصاحبها!»!

\* وكان الربيع بن خثيم يقول: «لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد!»!

\* وقال إبراهيم التيمي: «شيئان قطعنا عني لذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل!»!

\* وقال أبو بكر بن عياش: «وكان داود الطائي مأؤه في دن مقير في الصيف والشتاء! فقيل له: لو بردت الماء! فقال: إذا شربت الماء البارد في هذا الحر الشديد، فمتى أحب الموت؟!»!

وعن ثابت البناني، قال: «كنت أطوف بالبيت ليلاً، فإذا أنا بجارية، وهي تقول: اللهم اعصمني حتى لا أعصيك، وارزقني حتى لا أسأل غيرك. قلت لها: ممن سمعت هذا؟ قالت: من أبي طاوس. فقلت لها: هل لك في زوج؟! فقالت: والله لو كنت ثابتًا ما فعلت! قال: فقلت: فأنا ثابت! فقالت: يا ثابت، أما كان في ذكر الموت ما يشغلك عن النساء؟! وكبرت وجعلت تصلي!»!

فأفق أيها الغافل! وتذكر يوم الرحيل.. يوم رحيلك الأكبر!  
وما أشد خسرانك إذا حجبتك سوء الذنوب عن تذكر يومك الأخير من الدنيا!

وكم نائمٍ نام في غبطةٍ  
 أتته المنية في نومته  
 وكم من مقيم على لذة  
 دهره الحوادث في لذته  
 وكل جديد على ظهرها  
 سيأتي الزمان على جدته

\* أيها المذنب! أما لك في الجنائز عظة؟!

يا مشغولاً بالذنوب! وغافلاً مع الشهوات! أما رأيت موت  
 الخلائق؟! أما وعظنتك جنائز الراحلين؟!

كم في ذلك من عظة لصاحب القلب السليم! وكم في ذلك من  
 عبرة لصاحب العقل النافع!

فعض نفسك أيها الغافل برحيل من سبقك! وازجرها عن غيها  
 بعظة الموت!

سمع أبو الدرداء رجلاً يقول في جنازة: من هذا؟ قال: «أنت!  
 وإن كرهت فأنا»!

وقال حاتم الأصم: «اتباع الجنائز فضيلة، والصلاة عليها سنة،  
 ومداواة القلب بما فريضة»!

فكم لك - أيها المذنب - في الراحلين من عظة! ومن اتعظ  
 بغيره؛ فهو العاقل حقاً! ولا أغفل ممن رأى غيره في طريق الهلكات..  
 ثم لم يزجره ذلك عن غيه!

توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: «إن كانت وفاتها عظة لك؛ فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها؛ فعظم الله أجرك على موت قلبك»!

ودخل الحسن البصري على مريض يعود، فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم!

فقالوا له: الطعام يرحمك الله! فقال: يا أهلاه! عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه!

### \* أيها المذنب! تذكر شدة الموت!

يا عاكفاً على لذات الدنيا.. ولاهياً بلهوها.. أما سمعت عن الموت ومرارته؟! أما سمعت عن شدة سكراته.. وفضاعة ساعاته?!  
فيا لله! ما أشد سكرات الموت! وما أفضح لحظاته!

وها هو نبينا ﷺ يصف لك تلك الغمرات والسكرات - وهو يومها في مرضه الذي توفي فيه - وفي ذلك عظة لكل عاقل!

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت، وعنده قدح فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح، ثم يسمع وجهه بالماء، ثم يقول: «اللهم أعني على غمرات الموت، وسكرات الموت»!  
[رواه الترمذي]

نظر الحسن البصري إلى رجل يجود بنفسه، فقال: «إن امرءاً هذا آخره؛ لجدير أن يزهد في أوله، وإن امرءاً هذا أوله؛ لجدير أن يخاف آخره»!



وتذكر - أيها المسكين - أن الموت له ما بعده.. وما بعده أفضع منه!!

فتأمل في حالك - أيها الغافل - فلا ترحلن من الدنيا وقد أثقلت كاهلك بالخطايا!

يا باكي الميتِ على قبره  
امضِ ودَعْهُ فستسأه  
من عاين الموتَ فذاك الذي  
لم ترَ مثلَ الموتِ عيناهُ  
كم من شقيق لم تجدْ  
غير أن غمَّضَ مَنْ يهوي وسجَّاهُ  
وكم محبٍ لحبيبٍ إذا  
سؤى عليه اللحدَ خالاهُ

سمع الحسن البصري امرأة تبكي خلف جنازة، وتقول: يا أبتاه  
مثل يومك لم أراه! فقال لها: بل أبوك مثل يومه لم يره!

فحري بك - أيها المذنب - أن يطول جزعك.. قبل أن تطول  
حسرتك.. يوم أن تأتيك رسل ربك.. وأنت في سكرات الموت  
مأخوذاً!

قال الثوري: «إذا عاين المريض الموت؛ ذهب المعرفة بينه وبين أهله»!

قيل لحبيب الفارسي في مرضه الذي مات فيه: ما هذا الجزع  
الذي ما كنا نعرفه منك؟! فقال: «سفري بعيد بلا زاد، وينزل بي في

حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، وأقدم على ملك جبار، قد قدم  
إلي العذر!»!

\* أيها المذنب! هل استعددت للموت؟!

الذنوب شاغل عن الطاعات.. وطريق إلى الهلكات!

وإذا أدمن المذنب الذنوب؛ كان ذلك صارفًا له عن الاستعداد  
للموت.. بل حتى عن تذكره!

وقد علمت - أيها المذنب - قرب الموت.. وسرعة نزوله..  
فماذا أعددت لسكراته؟!

عن السدي في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ  
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أي: أيكم للموت ذكرًا،  
وأحسن له استعدادًا، وأشد منه خوفًا، فاحذروا»!

أيها المذنب! إنما جعلت أيام الدنيا؛ لتعمروها بالطاعات..  
وتؤدي فيها عبادة الله تعالى على أحسن الوجوه.. فكم قبيح أن  
تضيع منها شيئًا في غير طاعة الله تعالى.. فتلهو.. وتعبث.. ويطول  
حبل الغفلة؛ حتى تنزل السكرات.. وتحل الحسرات!

تزوّد من الدنيا بزادٍ من التُّقى

فكلّ بها ضيفٌ وشيكٌ رحيلُهُ

وخذ للمنايا لا أبالك عدهً

فإن المنايا من أتت لا تُقِيلُهُ

خطب عمر بن عبد العزيز، فقال: «كم من عامر موثق عما قليل يجرب! وكم من مقيم معتبط عما قليل يظعن! فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس فيها قرير العين قانع؛ إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودينياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، تسر قليلاً، وتحزن طويلاً!»!

فتهاياً - أيها المسكين - وبادر أجلك.. فإن أنفاسك معدودة..  
وأيامك محسوبة!

ولا يشغلنك عاجل الدنيا عن الدار الباقية.. ولا تنسيك لذة عاجلة؛ أليم عذاب الله.. وشدة عقابه!

فبادر.. ثم بادر!

عن بعضهم قال: دخلنا على أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومئ برأسه - يرفعه ويضعه - كأنه يصلي! فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟! قال: إنني أبادر طيِّ الصحيفة!

\* أيها المذنب! احذر التسويف!

التسويف! أهلك المذنبين.. وأوبق المقصرين!

لا تزال النفس متطلعة إلى الإمهال؛ فتقول: سوف أتوب! سوف أتوب! حتى يفجأ الموت بكأسه.. وينزل بكسراته!

فاحذر - أيها المذنب - مصرع الغافلين.. وخاتمة المسوفين!

واحذر أن تكون فيمن يقول: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «فاتقى عبد ربه؛ نصح نفسه، قدم توبته، غلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليسوفها، حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها!»!

وقال دواد الطائي: «يا ابن آدم! فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء مدة أجلك، ثم سوفت بعملك يوماً بعد يوم، حتى تأتيك منيتك كأن منفعته لغيرك!»!

أيها المذنب! بادر إلى الطاعات.. قبل حلول المنايا.. ونزول الرزايا! وإياك والتسويق.. فإنه بئس المطية!

وإن من لم يدر موعد حلول أجله؛ لحري به أن يأخذ للأمر أهبطه.. ويحتاط لنفسه من سوء الخاتمة!

مَا أَنْزَلَ الْمَوْتَ حَقَّ مَنْزِلَتِهِ

مَنْ عَدَّ يَوْمًا لَمْ يَأْتِ مِنْ أَجْلِهِ

أيها المذنب! اعتبر بالماضين.. وتذكر عاقبة المسوفين.. وتذكر الموت وكرباته.. واحذر أن يبعثك الموت وأنت لاهٍ بالشهوات.. غافل عن البيات!

فتطول يومها الحسرات.. وتتضاعف الكربات!

والحمد لله تعالى.. والصلاة والسلام على النبي وآله والأصحاب..